

## المبحث الرابع

## الإيمان يزيد وينقص

وهذه المسألة، أعني مسألة زيادة الإيمان ونقصه، من أظهر المسائل التي يظهر فيها الاختلاف بين الفرق المختلفة، وهي المحك الذي عليه يفترق حقيقة قول أهل السنة والجماعة مع مخالفهم في مسألة الإيمان، التي هي مسألة (الأسماء والأحكام) <sup>(١)</sup>، لذا سنفرد تفصيلها في مطلبين.

(١) مسائل الإيمان يُعبّر عنها العلماء بمسألة الأسماء والأحكام بمعنى اسم العبد في الدنيا هل هو مؤمن، أم كافر، أم ناقص الإيمان؟ وحكمه في الآخرة، هل من أهل الجنة، أم من أهل النار، أم ممن يدخل النار ثم يخرج منها ويخلد في الجنة؟ انظر طريق الهجرة ص ٣٦٥، لابن القيم.

المطلب الأول

الأدلة على زيادة ونقص الإيمان<sup>(١)</sup>

كل دليل يُستدل به على زيادة الإيمان؛ يُستدل به على إمكانية نقصه، لأنه إذا اعترفنا بالزيادة؛ فلا بد من الاعتراف بضعدها وهي النقصان، لأن ما كان قابلاً للزيادة؛ فهو بالاطراد قابلاً للنقص، كما يُستدل به على نقص الكفر بنفس القدر الذي زاد به الإيمان، وعكس هذا الكلام صحيح، بمعنى أن كل دليل يُستدل به على زيادة الكفر؛ يستدل به على إمكانية نقص الكفر، كما يُستدل به على نقص الإيمان بنفس القدر الذي زاد به الكفر<sup>(٢)</sup>، ولقد نظمت هذه الأدلة حسب مصادرها في ثلاث مسائل هي :

المسألة الأولى: الأدلة من القرآن وتنقسم إلى:

أولاً: آيات تدل على زيادة الإيمان صراحة وهي :

[ ١ ] قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [ الأنفال : ٢ ] .

(١) هذا المطلب اقتبست معظمه من كتاب مسألة الإيمان دراسة تاصيلية ، للشيخ / على بن عبد العزيز بن على الشبل ص ٢٨ - ٣٤ ، وهي نسخة تم تنزيلها من موقع صيد الفوائد .

(٢) يقول ابن تيمية : الإيمان والكفران متضادان : فكل ضدین فأحدهما يمنع الآخر تارة ويرفعه أخرى كالسواد والبياض [ فإذا فُقد أحدهما خلفه الآخر ] حصل موضعه ويرفعه إذا كان حاصلًا مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٧٧ . وما بين المعكوفين أضفته لان موضعه بياض فى الاصل، وبدونه يختل المعنى .

ويقول ابن القيم : ولا ريب أن الكفر يتفاوت، فكفر أغلظ من كفر، كما أن الإيمان يتفاوت، فإيمان أفضل من إيمان، فكما أن المؤمنین ليسوا فى درجة واحدة بل هم درجات عند الله، فكذلك الكفار ليسوا فى طبقة واحدة ودرك واحد، بل النار دركات كما أن الجنة درجات طريق الهجرتين ص ٣٨٩ .

ويقول ابن تيمية : الكفار يتفاضلون فى الكفر كما يتفاضل اهل الإيمان فى الإيمان قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [التوبة ٣٧] . فإذا كان فى الكفار من خف كفره بسبب نصرته ومعونته فإنه تنفعه شفاعته ، أى النبى ﷺ ، فى تخفيف العذاب عنه لا فى إسقاط العذاب بالكلية . مجموع الفتاوى

[ ٢ ] قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [ آل عمران : ١٧٣ ] .  
 [ ٣ ] قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [ التوبة : ١٢٤ - ١٢٥ ] ،  
 فالْمُؤْمِنُونَ يَزِدَادُونَ إِيمَانًا بِنَزُولِ الْقُرْآنِ ، وَالْمُنَافِقُونَ يَزِدَادُونَ كُفْرًا ، وَرَجَسًا وَيَنْقُصُ إِيمَانَهُمْ إِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ قَبْلَ نَزْوِلهِ ! .

[ ٤ ] قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [ الأحزاب : ٢٢ ] .  
 [ ٥ ] قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [ الفتح : ٤ ] .  
 [ ٦ ] قوله جل وعلا : ﴿ لَيْسَتِيقِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدُّدَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [ المدثر : ٣١ ] .

ثانياً ، آيات تدل على زيادة أفراد الإيمان من الأعمال ، وهي تدل دلالة قاطعة على زيادة أصلها وهو الإيمان ، ومن هذه الأمثلة :

[ ١ ] زيادة الخشوع في قوله تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [ الإسراء : ١٠٩ ] .  
 [ ٢ ] زيادة الهدى والهداية كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [ مريم : ٧٦ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [ محمد : ١٧ ] .  
 وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [ الكهف : ١٣ ] .  
 فما زاد شيء إلا نقص ، بدليل كونه قبل الزيادة أنقص منه بعدها .

ثالثاً: آيات تدل على زيادة الكفر، وبالتالي تدل على نقص الإيمان لأنه مقابله، ومن الآيات الدالة على ذلك:

[ ١ ] قوله تعالى: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ .

[ المائدة : ٦٤ ] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [ المائدة : ٦٨ ] .

[ ٢ ] قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي آرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [ الإسراء : ٦٠ ] .

[ ٣ ] قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ [ آل عمران : ٩٠ ] .

[ ٤ ] قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [ النساء : ١٣٧ ] .

[ ٥ ] قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُؤَاطِنُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ [ التوبة : ٣٧ ] .

وكما يزيد الكفر حتى يسفل إلى أدنى درجاته، فكذلك الإيمان يزيد حتى يبلغ أعلى درجاته .

رابعاً: آيات تدل على تفاضل أهل الإيمان مما يدل على تفاضلهم فيه، يكون بعضهم أفضل إيماناً من بعض، كما تدل على زيادة الإيمان ونقصانه .

[ ١ ] قوله سبحانه في تفاضل الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

[ الإسراء : ٥٥ ] .

وقال أيضاً : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [ البقرة : ٢٥٣ ] ، وقوله : ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (٢١) [ الإسراء : ٢١ ] .

[ ٢ ] وفاضل سبحانه بين الصحابة فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا ﴾ [ الحديد : ١٠ ] .

[ ٣ ] وفاضل بين المجاهدين وغيرهم من القاعدين فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٩٥) درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً ﴿ (٩٦) [ النساء : ٩٥-٩٦ ] ، وقوله ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٩٧) .

[ التوبة : ٢٠ ] .

[ ٤ ] وفاضل بين درجات العلماء من أهل الإيمان بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١١) .

[ المجادلة : ١١ ] .

[ ٥ ] ومايز سبحانه بين أهل الطاعة وأهل المعصية بقوله : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢١) [ الجاثية : ٢١ ] .

[ ٦ ] وفي سورة الواقعة ، ذكر أصحاب اليمين ، ثم أصحاب الشمال ، ثم

السابقين .

وكل هذه المفاضلات للتمايز في زيادة الإيمان ونقصه ، وكذا زيادة الكفر ونقصه .

## المسألة الثانية : الأدلة من السنة :

[ ١ ] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينهاه نُهبة ذات شرف ، يرفع الناس إليه فيها بأبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » وهذا لفظ مسلم <sup>(١)</sup> .

فنفى عنه كمال الإيمان بفعل هذه الكبائر، مما دل على نقص الإيمان بفعلها، وهكذا كل ما ورد من نفي كمال الإيمان تدل على زيادته، ومن ثم نقصانه ! ، ومنها ما عقده البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان، باباً في تفاضل أهل الإيمان بالأعمال وذكر فيه :

[ ٢ ] حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يقول الله من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون قد امتحشوا ، وعادوا حمماً ، فيلقون في نهر الحياة ؛ فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، أو قال حمية السيل - وقال النبي صلى الله عليه وسلم - ألم تروا أنها تخرج صفراء ملتوية » <sup>(٢)</sup> .

مما يدل على أنه أنقص المؤمنين إيماناً، ولو كان الإيمان لا يزيد، ولا ينقص، لاستحق أهله كلهم الجنة من أول وهلة، وبدرجات متساوية ! .

[ ٣ ] وعنه رضي الله عنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم ، رأيت الناس يُعرضون عليّ وعليهم قُمص ، منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما دون ذلك ، وعرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ ، قال : الدين » <sup>(٣)</sup> متفق عليه .

(١) رواه مسلم برقم ٧٥ / ١٠٠ ، والبخاري برقم ٢٣٤٣ ، ٥٢٥٦ ، ٦٣٩٠ ، وابن داود برقم ٤٦٨٩ ، والنسائي

برقم ٤٨٧٠ ، وأحمد برقم ١٠٢٢٠ ، والدارمي برقم ٢١٠٦ ، وابن حبان برقم ١٨٦ .

(٢) رواه البخاري برقم ٢٢ ، ٦١٩٢ ، ومسلم برقم ١٨٤ / ٣٠٤ ، وابن حبان برقم ٢٢٢ .

(٣) رواه البخاري برقم ٢٣ ، ٣٤٨٨ ، ٦٦٠٦ ، ومسلم برقم ١٥ / ٢٣٩٠ ، والترمذي برقم ٢٢٨٥ ، والنسائي

برقم ٥٠١١ ، وأحمد برقم ١١٨٣٢ ، والدارمي برقم ٢١٥١ ، وابن حبان برقم ٦٨٩٠ .

ورؤيا الأنبياء حق، فدل على زيادة الإيمان في أقوام، ونقصانه في آخرين .  
 [ ٤ ] وعنه وعن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ ، قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل، قلن : بلى ؟ ، قال : فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم، قلن : بلى ، قال : فذلك من نقصان دينها » وهذا لفظ البخاري (١) .

فهو وإن كان النقص ليس من فعلهن، لكن من صلى وصام كان أكمل إيماناً منهن بهذا الاعتبار لصلاته وصيامه، وتأمل ترجمة الباب الذي تحته الحديث عند مسلم، فقد قال : باب بيان نقصان الإيمان بقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ، ككفر النعمة والحقوق (٢) .

[ ٥ ] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن . ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن . ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » (٣) ، ويفسره ويبين مدلوله حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ) (٤) مدل

(١) البخاري برقم ٢٨٩، ١٣٩٣، ومسلم برقم ١٣٢ / ٧٩، والترمذي برقم ٢٦١٣، وابن ماجه برقم ٤٠٠٣، وأحمد برقم ٥٣٤٣، وابن خزيمة برقم ١٠٠٠، وابن حبان برقم ٥٧٤٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ٥٧ .

(٣) رواه مسلم برقم ٨٠ / ٥٠، وابن حبان برقم ١٧٧، والطبراني في الكبير برقم ٩٧٨٤، والبيهقي في الكبرى برقم ١٩٩٦٥، وفي شعب الإيمان برقم ٧٥٦٠ .

(٤) رواه مسلم برقم ٧٨ / ٤٩، وأبو داود برقم ١١٤٠، وابن ماجه برقم ١٢٧٥، والنسائي برقم ٥٠٠٨، والترمذي برقم ٢١٧٢، وأحمد برقم ١١٠٨٨، وابن حبان برقم ٣٠٦، والبيهقي في الكبرى برقم ٥٩٩٧، وفي شعب الإيمان برقم ٧٥٥٩ .

على أن الإيمان لا يزال يضعف بتخلف تلك المراتب وهو النقصان، وتحصيلها هو زيادته (١).

[٦] عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان) (٢).

**المسألة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم في زيادة الإيمان ونقصه:**

وهي كثيرة جداً ضمنها الأئمة في مصنفاتهم في الإيمان فمن ذلك،

[١] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ربما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: قم بنا نزدد إيماناً (٣).

[٢] وكان معاذ رضي الله عنه يقول لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة (٤). أي نزداد إيماناً، لم يعن أنه كان غير مؤمن قبلها!

[٣] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم: أيزداد هو أم ينقص؟ (٥)

[٤] وأما ابن مسعود رضي الله عنه فكان يقول في دعائه: (اللهم زدنا إيماناً و يقيناً و فقهاً) (٦).

(١) إن شاء الله سيأتي مزيد بيان لهذه النقطة في مبحث الترابط بين قوة الإيمان وضعفه وزيادته ونقصه بعد قليل.

(٢) رواه أبو داود برقم ٤٦٨١، والترمذي برقم ٢٥٢١، وقال: حديث حسن، وأحمد برقم ١٥٦٧٦، وقال الأرئوط: إسناده حسن، والحاكم في المستدرک برقم ٢٦٩٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والطبرانی في الكبير برقم ٧٦١٣، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٩٠٢١، وابن أبي شيبه في مصنفه برقم ٣٠٤٣٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٩٦٥، وفي السلسلة الصحيحة برقم ٣٨٠.

(٣) مصنف ابن أبي شيبه ٦ / ١٦٤ برقم ٣٠٣٦٦، والكشاف للزمخشري ١ / ٢٢٠، وشرح العقيدة الطحاوية ٣٤٣.

(٤) رواه البخاري في كتاب الإيمان تحت باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «بني الإسلام على خمس» الفتح ١ / ٥٨، وفي السنة لعبد الله بن أحمد برقم ٧٩٦، وفي مصنف ابن أبي شيبه برقم ٣٠٣٦٣.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٣٤٣.

(٦) السنة، لعبد الله بن أحمد برقم ٧٩٧، وفتح الباري ١ / ٦١، ومجموع الفتاوى ٧ / ١٥٣، وشرح العقيدة الطحاوية ٣٤٣.

[ ٥ ] وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه كان يأخذ بيد نفر من أصحابه فيقول: ( تعالوا فلتؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ولنزدد إيماناً، تعالوا نذكر الله بطاعته لعل الله يذكرنا بمغفرته ) (١) .

[ ٦ ] وقال عمير بن حبيب الخطمي وغيره من الصحابة رضي الله عنهم: « الإيمان يزيد وينقص، فقليل له وما زيادته ونقصانه؟ فقال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه » (٢) .  
وعنهم في الباب كثير، وعنهم بعدهم أكثر.

ولقد عد اللالكائي أسماء عدد كبير من الصحابة والتابعين وتابعيهم والفقهاء كلهم يقول الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٣) .

ولذا نقل ابن عبد البر - في التمهيد - الإجماع على ذلك فقال: « أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية. والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان » اهـ (٤) .

والمقصود تكاثر القول عن الأوائل في تحقيق زيادة الإيمان ونقصانه وهي من الكثرة بمكان لا يتغافل عنها إلا جاهل .

(١) مصنف ابن أبي شيبة برقم ٣٠٤٢٦، وشعب الإيمان للبيهقي برقم ٥٠، والزهد لابن المبارك برقم ١٣٩٥، وكشف الخفاء للعجلوني برقم ١١٥، ومجموع الفتاوى ٧ / ١٥٣ .

(٢) السنّة، لعبد الله بن أحمد برقم ٦٢٤، ومصنف ابن أبي شيبة برقم ٣٠٣٢٧، ومجموع الفتاوى ٧ / ٣٣٤، وقال ابن تيمية بعده: فهذه الالفاظ الماثورة عن جمهورهم، العقيدة الأصفهانية ١٧٨ .

(٣) انظر شرح أصول الاعتقاد ٢ / ١١، ١٢ وما بعدها.

(٤) من التمهيد له ٩ / ٢٣٨ .

**المطلب الثاني**  
**إثبات زيادة ونقص الإيمان**

اعلم أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته ونقصه كما وكيفاً.  
**وزيادته كيفاً، تكون من وجهين:**

**الأول:** من عَلمَ أمراً من أمور الدين ومر بتلك المراحل - السابق بيانها في المبحث الثاني - من أولها إلى آخرها فقد استكمل الإيمان بهذا الأمر، وإن وقف عند مرحلة منها فنصيبه من الإيمان بهذا الأمر على قدر موضع هذه المرحلة (١)، فإن عَلمَ ولم يصدِّق لم ينتفع، فإن صدق ولم يتيقن لم ينتفع، فإن تيقن ولم يقبل لم ينتفع، وإن قبل ولم يحب لم ينتفع فالحب أول علامات انقياد القلب، فإن أحب المعروف وكره المنكر يصير معه أصل الإيمان، فإن لم يُقر بلسانه على ما استقر في قلبه فهو جاحد، فإن نطق بلسانه صار مسلماً حُكماً، وإن أقر بلسانه ولم يصدِّق بقلبه كان منافقاً وعُصِمَ دمه، فإن عمل المباني الأربعة صار مسلماً حقاً وزاد إيمانه، وتطرد الزيادة بالترقي في درجات كل مرحلة، ويزداد حتى يصل إلى نهاية الكمال بكمال العمل والإخلاص فيه.

**والثاني:** أن تعلم أن كل مرحلة من هذه المراحل يتفاضل الناس فيها أيما تفاضل، فالعلم مثلاً بدايته نفي الجهل ونهايته العالم الرباني، والتصديق بدايته زوال الشك، ويتدرج حتى يكون صاحبه صديقاً أي وصل إلى أعلى مراتب التصديق، وكذا اليقين فهناك علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين والمحبة أولها القبول وآخرها الخلة، وكذا الانقياد، ويبين الله مثلاً لزيادة كيفية الإيمان حين قال

(١) وذلك لأنه لا بد من وجود أصل كل مرحلة من هذه المراحل في قلب العبد لكي توصله إلى التي تليها، وخصوصاً إذا علمت أن غالب هذه المراحل إما أن تكون من قول القلب أو عمله، وكلاهما لازم للإثبات اسم الإيمان للعبد.



( الآن يا عمر ) (١) ، وهذه الأحاديث ونحوها في الصحاح وفيها بيان تفاضل الحب والخشية . . . . وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه فإنه قد يكون الشيء الواحد يحبه تارة أكثر مما يحبه تارة، ويخافه تارة أكثر مما يخافه تارة . . . . ونفس العلم والتصديق يتفاضل ويتفاوت كما يتفاضل سائر صفات الحي من القدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، بل سائر الأعراض من الحركة والسواد والبياض ونحو ذلك (٢) .

**أما زيادته كما ( وهي زيادة عامة ) فتكون من وجهين أيضاً :**

**الأول،** بأن يُضاف إلى ذلك الأمر أمر ثان، وثالث، وهكذا، حتى يستكمل عرى الإيمان كلها، وفي ذلك يقول الله : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) ﴾ [التوبة : ١٢٤] ، ويقول : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] .

**يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:** إن الإنسان قد يكون مكذباً، ومنكراً لأمر لا يعلم أن الرسول أخبر بها، وأمر بها، ولو علم ذلك لم يُكذب ولم يُنكر؛ بل قلبه جازم بأنه لا يُخبر إلا بصدق، ولا يأمر إلا بحق، ثم يسمع الآية، أو الحديث، أو يتدبر ذلك أو يُفسر له معناه، أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه، فيصدق بما كان مكذباً به، ويعرف ما كان منكراً وهذا تصديق جديد، وإيمان جديد، ازداد به إيمانه (٣) .

ولكن تنبه ، فليست كل الأمور متساوية في القدر ، فلا يستوي من علم لا إله إلا الله وعمل بها، مع من علم إمطة الأذى عن الطريق وعمل بها، رغم أن

(١) رواه البخارى برقم ٦٢٥٧ ، وأحمد برقم ١٨٩٨١ ، والطبرانى فى الأوسط برقم ٣١٧ ، والبيهقى فى شعب الإيمان برقم ١٣٨١ .

(٢) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٧١ - ٣٧٢ باختصار .

(٣) مجموع الفتاوى ٧ / ١٦١ .

كلاهما من الإيمان، ولكنها مراتب وكل أمر على قدره.

وذلك لقوله تعالى: ﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) ﴾ [ التوبة : ١٩ - ٢٠ ] .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : لما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى إيماناً فالصلاة من الإيمان وكذلك الزكاة والحج والصيام والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إمطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إمطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إمطة الأذى ويكون إليها أقرب. (١) . (٢) .

(١) كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) وهذه الزيادة تختلف باختلاف الزمان والأشخاص فبالنسبة للزمان: فمثلاً في أول الإسلام كان من عمل بالأمور التي فُرِضت رغم قلتها مؤمناً مستكمل الإيمان الواجب عليه، أما غيره ممن جاء بعده فعليه أن يعمل بما زاد من شرائع حتى يكون مستكمل الإيمان الواجب فإن اقتصر على ما آمن به الأول كان ناقص الإيمان الواجب، وبالنسبة للأشخاص: فإذا بلغ أحدهم بعض الشرائع فعمل بها فهو مؤمن مستكمل الإيمان الواجب، أما غيره ممن بلغه أكثر من ذلك ثم اقتصر على بعضها فهو ناقص الإيمان الواجب. وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: في معرض رده على المرجئة: ظنهم أن الإيمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد، وأن الإيمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص، وليس الأمر كذلك، فإن اتباع الأنبياء المتقدمين أوجب الله عليهم من الإيمان ما لم يوجب على أمة محمد، وأوجب على أمة محمد من الإيمان ما لم يوجب على غيرهم، والإيمان الذي كان يجب قبل نزول جميع القرآن ليس هو مثل الإيمان الذي يجب بعد نزول القرآن، والإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به الرسول مفصلاً ليس مثل الإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به مجملًا، فإنه لا بد في الإيمان من تصديق الرسول في كل ما أخبر، لكن من صدق الرسول ﷺ ومات عقب ذلك لم يجب عليه من الإيمان غير ذلك، وأما من بلغه القرآن والأحاديث وما فيها من الأخبار والأوامر المفصلة فيجب عليه من التصديق المفصل بخبر خير، وأمر أمر ما لا يجب على من لم يجب عليه إلا الإيمان المجمل لموته قبل أن يبلغه شيء آخر.

**الثاني** : عن طريق عمل الجوارح، فكلما عمل بجوارحه عملاً زاد في إيمانه، فعمل الجوارح سبب في زيادة ونقص ما هو موجود في القلب من المحبة وتوابعها، كما أن ما في القلب من المحبة وتوابعها أصل لما يظهر على الجوارح من أعمال.

**يقول شيخ الإسلام ابن تيمية**: أعمال القلوب لا تتم إلا بأعمال الأبدان، كما أن الروح لا قوام لها إلا بالبدن، أعني ما دامت في الدنيا (١).

**ويقول**: كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضاً تأثير فيما في القلب، فكل منهما يؤثر في الآخر، لكن القلب هو الأصل، والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه، كما في الشجرة التي

و أيضاً لو قُدِّرَ أنه عاش فلا يجب على كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول، وكل ما نهى عنه، وكل ما أخبر به، بل إما عليه أن يعرف ما يجب عليه هو، وما يحرم عليه، فمن لا مال له لا يجب عليه أن يعرف أمره المفصل في الزكاة، ومن لا استطاعة له على الحج ليس عليه أن يعرف أمره المفصل بالمناسك، ومن لم يتزوج ليس عليه أن يعرف ما يجب للزوجة، فصار يجب من الإيمان تصديقاً وعملاً على أشخاص ما لا يجب على آخرين.

وبهذا يظهر الجواب عن قولهم: خوطبوا بالإيمان قبل الأعمال، فنقول: إن قلتم: إنهم خوطبوا به قبل أن تجب تلك الأعمال، فقبل وجوبها لم تكن من الإيمان، وكانوا مؤمنين بالإيمان الواجب عليهم قبل أن يفرض عليهم ما خوطبوا بفرضه، فلما نزل إن لم يقرؤا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَةِ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [ آل عمران: ٩٧ ]، ولهذا لم يجزئ ذكر الحج في أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الإسلام والإيمان كحديث وفد عبد القيس، وحديث الرجل النجدي الذي يقال له ضمام بن ثعلبة، وغيرهما، وإنما جاء ذكر الحج في حديث ابن عمر وجبريل، وذلك لأن الحج آخر ما فرض من الخمس، فكان قبل فرضه لا يدخل في الإيمان والإسلام، فلما فرض أدخله النبي ﷺ في الإيمان إذا أفرد وأدخله في الإسلام إذا قرُن بالإيمان وإذا أفرد وسنذكر إن شاء الله متى فرض الحج؟ وكذلك قولهم من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمناً فصحيح؛ لأنه أتى بالإيمان الواجب عليه، والعمل لم يكن وجب عليه بعد، فهذا مما يجب أن يُعرف فإنه تزول به شبهة حصلت للطائفتين.

فإذا قيل: الأعمال الواجبة من الإيمان، فالإيمان الواجب متنوع ليس شيئاً واحداً في حق جميع الناس، وأهل السنة والحديث يقولون جميع الأعمال الحسنة واجبتها ومستحبها من الإيمان، أي من الإيمان الكامل بالمستحبات، ليست من الإيمان الواجب، ويُفرق بين الإيمان الواجب وبين الإيمان الكامل بالمستحبات، كما يقول الفقهاء الغسل ينقسم إلى مجزئ وكامل، فالجزئ ما أتى فيه بالواجبات فقط، والكامل ما أتى فيه بالمستحبات، ولفظ الكمال قد يراد به الكمال الواجب، وقد يراد به الكمال المستحب. مجموع الفتاوى

يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ لِكَلِمَةِ الْإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ اللَّهِ .

[ إبراهيم : ٢٤ - ٢٥ ] .

وهي كلمة التوحيد، والشجرة كلما قوى أصلها وعرق ورؤى قويت فروعها، وفروعها - أيضاً - إذا اغتذت بالمطر والريح أثر ذلك في أصلها (١) .

يقول العلامة الألباني: فليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع (٢) .

ولم يستكمل الإيمان كماً وكيفاً إلا فئة قليلة هي أعز من الكبريت الأحمر على رأسهم الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفي ذلك ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» (٣) ، أما باقي الأمة فمُقل ومستكثر، وعلى قدر الاجتهاد في العلم والعمل والإخلاص فيهما على قدر الاقتراب من الكمال كماً وكيفاً.



(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٥٨ .

(٢) وجوب الأخذ بحديث الأحاد في العقيدة ص ٢٦ .

(٣) رواه البخاري برقم ٣٢٢٠، ٣٢٥٨، ٥١٠٢، ومسلم برقم ٧٠ / ٢٤٣١، وابن ماجه برقم ٣٢٨٠،

والترمذي برقم ١٨٣٤، وأحمد برقم ١٩٥٤١، وابن حبان برقم ٧١١٤، والطبراني في الكبير برقم ١٠٦،

والنسائي في الكبرى برقم ٨٢٥٣، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٣٢٢٧٦ .

## المطلب الثالث

## أسباب زيادة الإيمان ونقصه

يقول ابن عثيمين : أسباب زيادة الإيمان أربعة :

**الأول:** معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ فإنه كلما ازداد الإنسان معرفة بالله وأسمائه وصفاته؛ ازداد إيمانه .

**الثاني:** النظر في آيات الله الكونية والشرعية : قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١) ﴾ . [ يونس : ١٠١ ] .

وكلما ازداد الإنسان علماً بما أودع الله تعالى في الكون من عجائب المخلوقات ومن الحكم البالغات؛ ازداد إيماناً بالله ، وكذلك النظر في آيات الله الشرعية يزيد الإنسان إيماناً بالله ، لأنك إذا نظرت إلى الآيات الشرعية وهي الأحكام التي جاءت بها الرسل؛ وجدت فيها ما يبهر العقول من الحكم البالغة والأسرار العظيمة التي تعرف بها أن الشريعة نزلت من عند الله، وأنها مبنية على العدل والرحمة، فتزداد بذلك إيماناً .

**الثالث:** كثرة الطاعات وإحسانها؛ لأن الأعمال داخلة في الإيمان، وإذا كانت داخلة فيه؛ لزم من ذلك أن يزيد بكثرتها .

**الرابع:** ترك المعصية تقرباً إلى الله فإن الإنسان يزداد بذلك إيماناً بالله .  
أسباب نقص الإيمان أربعة :

**الأول:** الإعراض عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته .

الثاني: الإعراض عن النظر في الآيات الكونية والشرعية، فإن هذا يوجب الغفلة وقسوة القلب .

الثالث: قلة العمل الصالح ، ويدل لذلك قول النبي ﷺ في النساء: ( ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ) قالوا: يا رسول الله ! ، كيف نقصان دينها ؟ ، قال: ( أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ ) .

الرابع: فعل المعاصي لقوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [ المطففين : ١٤ ] (١) .

